الفصل الخامس عشر

الصحافة في البلاد العربية

فى كل من لبنان وسوريا وشرق الأردن وفلسطين والمملكة العربيـــة السعودية صحف تختلف حجما وأهمية . والصحف فى الجمهوريتين السورية واللبنانية ، كثيرة جداً ، ومتزاحمة جداً ومنها التلغراف ، والأفكار ، والدبور ، ولبنان ، وسوريا ، والرافدين والقبله ، وعمان ، والأردن ، والأرز ، والوفاء . وفلسطين ، والنهار ، والمقتبس ، والجامعة ، والقبس ، والكفاح ، وألف باء ، ودمشق ، والعلم العربى ، والرابطة العربية ، والرابطة الإسلامية ، والنضال ، والاستقلال العربى ، والفكر العربى والنذير ، والتقدم ، والحديث ، والعاصى ، والشباب ، والجمهورية ، والضحى ، والنواعير ، والتمدن الإسلامى ، والأيام ، والبعث ، والفتى العربى .

والأستاذ تقى الدين الصلح هو نقيب الصحافة فى لبنان ؛ وكان

نائبا لوزير لبنان المفوض فى القاهرة .

.....

فى المملكة العربية السعودية

تصدر فى المملكة العربية السعودية الصحف التالية : أم القرى ، المدينة المنورة ، الحج ، المنهل ، البلاد السعودية .

ومما يذكر أن الصحافة هناك قد تقدمت فى الأعوام الأخيرة تقدما محسوسا .

الصحافة فى العراق

الرأى السائد أن أول صحيفة عربية فى الشرق العربى هى « الوقائع المصرية » كما سبق القول ولكن هناك رأى حديث يقول إن هناك صحيفة عراقية سبقت الوقائع فى الصدور ، تلك هى الصحيفة التى عرفت باسم « جورنال العراق » التى أسسها داود باشا الكرجى وزير بغداد وكان ذلك سنة ١٨١٦م وكانت تطبع فى مطبعة حجرية باللغتين العربية والتركية ، وكانت تنشر أنباء العراق وأخبار السلطنة العثمانية ووقائع القبائل وقوانين البلاد وأوامر الوالى وشئون

الموظفين وأخبار الخارجية وكانت توزع على قواد الجيش وكبار المدينة وأشراف بغداد ، وتعلق على جدران دار الإمارة نسخ منها ليطلع عليها الجمهور [١] ومع أن هذه الصحيفة لم يعثر على نسخة منها إلا أن بعض الرحالين الافرنج أشاروا اليها فى كتبهم .

ومن المعلوم أن نهضة الصحافة اقترنت بنهضة الطباعة وهذا يسجل التاريخ المجد لمدحت باشا الذى عينته الدولة العثمانية واليا على العراق سنة ١٨٦٨ وكان قد ذهب إلى أوربا وشاهد المدنية الغربية الحديثة ووقف على كثير من أسباب النهضة الأوربية ، ويعتبر عهده فجراً لتاريخ نهضة العراق الحديثة . ومع أن مدة ولايته لم تتجاوز ثلاث سنوات إلا أنه قام بمشروعات إصلاحية كثيرة ، فأنشأ بعض المدارس العسكرية والمدنية ، وأنشأ بعض المصانع ، وهو أول من جلب آلة الطباعة إلى بغداد ، وسميت « مطبعة الولاية » ، وكانت تطبع بها صحيفة « الزوراء » التى يعتبرها جمهور العلماء أول صحيفة عراقية ، وكان صدورها سنة ١٨٦٨ . وكانت الجريدة الرسمية تصدر مرة واحدة فى الأسبوع باللغتين العربية والتركية ، وكان يحرر القسم العربى فيها الشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى ،

---

(١) روفائيل بطى منبر الأثير ص ٢٣ ج ٣ السنة الأولى

وفى الوقت نفسه كان مديراً لمطبعة الولاية ، وتلتها جريدة الموصل سنة ١٨٨٥ ، ثم البصرة سنة ١٨٩٥ ، ثم احتجبت هذه الصحف تدريجا بين عام ١٩١٥ وعام ١٩١٨ على أثر الاحتلال البريطانى .

ولما صدر الدستور العثمانى سنة ١٩٠٨ وتقلص ظل الاستبداد الذى شمل العراق منذ أوائل العهد التركى ، أخذ أصحاب الآراء الحرة يهتمون بالصحافة اهتمامهم بألوان الأدب شعره ونثره ، إذ ساد الشعر السياسى والشعر الاجتماعى .

ومن آثار الحرية التى تنفس العراق عبيرها بعد إعلان الدستور العثمانى ، أن صدرت زهاء سبعين جريدة خلال ثلاث سنوات . وبعد الاحتلال الانجليزى صدرت جرائد الأوقات العربية . والأوقات المصرية والعرب ودار السلام والنادى العلمى والسليمانى .

وفى عهد الحكم الوطنى صدرت الزمان والشهاب وصدرت الأهالى والأوقات العراقية والأخبار والشعب والرأى العام والساعة والنداء والحوادث والعراق والبلاد ، ومجلات العلم الجديد والرابطة ، ومنبر الأثير ، والحضارة ، والزهراء ، وعالم الغد.

الصحافة فى مراكش

أصدرت الحملة الأسبانية حين احتلت تطوان سنة ١٨٦٠ صحيفة باسم El Eco de tetuan (صدى تطوان) ، فهى شبيهة بالصحف التى أصدرها الجنرال بونابرت فى حملته المصرية ، وقد أنشئت لنشر أنباء الحرب وتغذية الجيش بالأخبار ثم وقفت عن الصدور بعد الجلاء .

ومنذ اتجهت الأنظار إلى مدينة طنجة المواجهة لجبل طارق حيث كثر الأوربيون فى القرن التاسع عشر وانتشرت أساليبهم واستقرت بعثاتهم التجارية وهيئاتهم السياسية ، قصدها الصحفيون للاستعلام عن أمر هذه الدولة التى أحدثت كل هذا الضجيج بين دول أوربا ، وكانت مهمة الحصول على أخبارها الصحيحة مهمة شاقة ، نظراً لخلوها من الصحف فكانت أخبارها تضيع فى أمواج الزمن — كما قال مراسل اسكتلندى — وصارت شؤونها محفوفة بالغموض فى صحف أوربا، التى تهم البلاد معرفتها وتبشر بالدستور والتعليم والإصلاح الحكومى والقضائى والمالى والعسكرى وكل الإصلاحات التى تحتاج اليها الدولة والأمة . وكان السلطان عبد الحفيظ

يقدر هذه الصحافة كل التقـــدير ويحوطها برعايته ويفهم أهميتها وضرورتها بل أنه أنشأ إلى جانبه مصلحة للصحافة توافيه كل يوم بالمقالات والبرقيات التى تنشرها الصحف الأوربية فيما يتعلق بسلطته

وكانت الصحيفة التى تقاوم هذه الحركة هى صحيفة (السعادة) أنشئت سنة ١٩٠٤ للتبشير بحسن نية الفرنسيين وسمو أغراضهم وعظمتهم فى عالم الحضارة وخطورة شأنهم فى عالم الحرب والسياسة وقد كتب للشعب الفرنسى لهذا كله أن يزحف ويتملك ويستعمر وقد ظلت هـــذه الصحيفة تصدر وحدها بعد أن عصفت الحماية بالاستقلال وحركة الاصلاح .

وقد تمتعت تلك الصحف الأولى بكامل حريتها ، فنشرت ماشاءت دون رقيب ولا إنذار ولا تعطيل ، ولا يحفظ التاريخ لنا إلا حادثة بسيطة ، ولا تكاد تذكر ، وهى أن صحف طنجة هذه لما أسرفت فى حملتها على الحكومة الوطنية وممثلى الدول الأوربية سنة ١٨٨٥ أنذرها وزير الخارجية السيد محمد الطريس بالاغلاق إذا هى لم تقلع عن ذلك وأرسل الانذار إلى الصحف جميعاً .

وكان العائق الرئيسى فى سبيل صدور الصحف باللغة العربية هو ندرة المطابع ، فلما جاءت الحماية أصبح العائق شيئا آخر ، فهناك دعوة معينة يجب أن تبشر بها الصحيفة إذا هى أرادت ، ولكن

لحسن الحظ أو لسوء الحظ لم تصدر بعد ذلك صحيفة عربية فى مراكش إلا بعد زمن طويل ، مع استثناء الصحيفة الرسميـــة التى صدرت فى أول إبريل سنة ١٩١٣ مفتتحة حياتها بنص الرسالة التى تنازل بها آخر سلاطين مراكش المستقلين عن العرش (١) .

وبينما ظلت صحيفة الحماية العربية تصدر وحدها ، صدرت إلى جانبها عشرات من الصحف الفرنسية ، وازداد عددها حتى أصبح لكل مدينة صحيفة محلية على الأقل باللغة الفرنسية .

ومن بين القضايا العديدة التى واجهت البلاد بعد الحماية قضية حرية الصحافة ، وهى قضية ما تزال قائمة إلى اليوم ، وتساءل عنها الشعب فقيل له إن ظروف الحرب (١٩١٤) قد أحاطت كل صحف العالم بالقيود ، فلما انجلت الحرب طالبت جموع الشعب المتظاهرة بحرية الصحافة التى سلبها النظام الجديد (٢) .

لم تطق البلاد صبراً على هـذا الحرمان ، فبدأت تصدر صحف

---

(١) كتاب الدرر الفاخرة للمؤرخ المراكشى عبد الرحمن بن زيدان صفحة ١١٨ .

(٢) من تقرير سرى رفعه المارشال ليوطى إلى حكومته سنة ١٩٢٠ .

سرية تنشر مقالات شديدة عنيفة ضاقت بها السلطة دون أن تستطيع العثور على ناشريها ؛ وظل الأمر على ذلك زمنا طويلا إلى أن بدأ الصدام الحقيقي بين المحميين والحامين ، فانطلقت الثورة من عقالها سنة ١٩٣٠ وانتشر الصحفيون المراكشيون في فرنسا يروون في صحفها ما يشبه الأساطير المخيفة عن حوادث هـــذه البلاد . ثم أصدروا صحيفة فرنسية باسم Maghreb في باريس ليلقوا النور على ما يحيط بأمر بلادهم من خفاء .

على أن الحماية الأسبانية المفروضة على جزء صغير من مراكش كانت أرحب صدراً فسمحت باصدار صحف ، وكانت هذه المدينة تتمخض عن حركة إصلاحية واسعة تستدعي أن يكون لها لسان تعد به الشعب لفهم نواحي الإصلاح .

على أن المستر أبرانيز — وأصله من جبل طارق — أخذ على نفسه أن يضع نهاية لهذه الحال ، فأسس في المدينة مطبعة سنة ١٨٨٠ وأصدر صحيفه أسبوعية باللغة الاسبانية باسم (المغرب الأقصى) ثم أصدرت المطبعة صحيفة أخرى فرنسية صاحبها ومحررها من أبناء مراكش الإسرائيليين يدعى (ليفي كوهن) وفي ٥ يوليو سنة ١٨٨٤ صدرت أخرى بالإنجليزية .

ثم أخرى بالأسبانية وقد صدرت إلى جانب ذلك صحف أخرى

هكذا عرفت مراكش الصحافة ، وسرعان ماتأثرت اللغة العربية بهذه النهضة الصحفية ، فصدرت أول صحيفه فيها باسم (المغرب) سنة ١٨٨٩ كما صدرت صحيفة عربية أخرى سنة ١٨٩١ ذات ميول إسرائيلية

كانت مدينة طنجة فى ذلك الوقت ملتقى لحركتين كبيرتين : الأولى الحركة الوطنية التى كانت تحاول أن تنقذ البلاد من التردى فى الهاوية التى كانت توشك أن تبتلعها . والثانية الحركة الاستعمارية كانت تعمل على تقويض دعائم الاستقلال ، وكانت الحركتان قويتين نشيطتين ؛ فحاولتا أن تستفيدا من هذا السلاح الجديد الذى وجد فى البلاد .

وصدرت صحف وطنية كثيرة نذكر منها جريدة (لسان المغرب) تدعو إلى الإصلاح وتنشر الأخبار .

الصحافة العربية فى أوربا

كان من أثر اضطهاد الحكام المستبدين فى الشرق العربى ومصر فى عهد السلطة العثمانية البائدة ، أعنى أمبراطورية آل عثمان ، أن رحل إلى أوربا ، خاصة إلى فرنسا وانجلترا ، نفر من الأحرار ، أكثرهم من المثقفين والأدباء ومنهم من كان يزاول الصحافة ؛ كحرفة أو كأداة للدفاع عن المبادىء الصحفية ، مبادىء الحرية والإستقلال والخلاص من الظلم والاستبداد ، فالى فرنسا وانجلترا رحل السيد جمال الدين الأفغانى ، وتبعه تلميذه وصفيه المختـــار الإمام الشيخ محمد عبده ، وأصدرا جريدة .

كذلك أصدر أبو نضارة صحيفة هناك .

وكان من مهاجرى سوريا ولبنان ، نفر هاجر إلى منشستر ولندن ، كان منه « رزق الله حسون » الكاتب الأديب ، فقد أصدر فى ١٨٧٢ فى العاصمة الانجليزية صحيفة أسبوعية باللغة العربية إسمها « آل سام » وهى أول صحيفة عربية ، تصدر فى البلاد البريطانية . وكان حسون يتولى صف حروفها وطبعها بنفسه فى داره فى قريه واندزورث وقد كانت رسالته استثارة الرأى العام الأوروبى على

الحكم التركى . غير أن « آل سام » لم تلق الرواج المأمول ومن ثم فقد أصدر « حسون » بديلا منها « مرآة الأحوال » وكان يعاونه الدكتور لويس صابونجى وعبد الله ، وكانت أغزر مادة من سابقتها سياسيا وعلميا وانتشرت فى سائر البلاد العربية ، وكانت تحمل فى عنف على المستبدين ، فخافوها وصادروها . ولكنها كانت تتسلل إلى قرائها فى مهارة وجرأة وفى ١٨٧٩ ، أصدر حسون نشرة نصف شهرية اسماها « حل المسألتين الشرقية والمصرية » من أجل « البحث فى سياسة مصر ، خصوصا والشرق الأدنى — أى الأوسط — عموما » وكانت تطبع على ورق رقيق وعاشت عاما كاملا ، وكانت ترسل إلى قرائها داخل مظاريف كالخطابات الاعتيادية ، لكى لا تصادرها الحكومة العثمانية . وفى سنة ١٨٨٠ مات رزق الله حسون فماتت صحيفته بموته . وقد قفاه زميله الدكتور لويس صابونجى ، فأصدر صحيفة « الخلافة » فى سنة ١٨٨١ وجعل شعارها : « حرية ، واستقلال ، ونجاح ، واقبال » . وكان من وراء هذه الصحيفة العربية ، قوة أدبية ومادية اكتتبت لها بمبلغ عشرة آلاف جنيه ، وكانت تنشر مقالات نارية ضد الحكم العثمانى ورجاله وعلى امام المستبدين لذلك العهد ، السلطان عبد الحميد خان الثانى ، وكانت مقالاتها ترجم إلى اللغات التركية والايرانية والأردنية ،

أى لغة مسلمى الهند . وفى طليعة هذه المقالات ما كان بعنوان : مسألة الخلافة . الخلافة والقانون الأساسى . المسلمون والخلافة فى آل عثمان . حى على الاستقلال ، أيها الأبطال .

وقد ضاق السلطان ورجاله ذرعا بهذه الصحيفة الحزبية ، بعد أن عجزوا عن منع وصولها إلى البلاد العربية . والتركية ، وكان جلالته قد أوعز إلى سفيره فى لندن « موزوروس باشا » بأن يرشو صابونجى بمبلغ كبير لكى يوقف صدورها . ولكن صابونجى رفض هذا العرض ، ذاكراً أن أمراء العرب يؤيدون صحيفته .

وبعد حين ، أوقف صدورها ؛ وأصدر محلها صحيفة « الاتحاد العربى » وهدفها « ربط الشعوب التى تنطق باللغة العربية حتى يكون لها كيان واحد مستقل » . ولكن صابونجى أوقف هذه أيضا لقلة رواجها وذلك بعد إصداره ثلاثة أعداد منها . وفى سنة ١٨٨٤ عاد صابونجى فأصدر مجلة أسبوعية أسماها « النحلة » عنى فيها بمعالجة المسألة المصرية والسودان فى بداية عهد الاحتلال البريطانى ؛ وكانت الصحيفة تنشر خطب الساسة البريطانيين معربة . وكان ما يترجم من مقالاتها يسترعى اهتمام المستر جلادستون رئيس الوزارة البريطانية فى ذلك العهد .

ولما ضعفت صحة صابونجى ، غادر انجلترا الى لوس انجلوس

فى كاليفورنيا الأمريكية ، وهناك اغتالته يد أثيمة وكان فى الثانية والتسعين .

وفى سنة ١٨٩٢ أصدر حبيب سلمون اللبنانى المهاجر إلى لندن منذ عام ١٨٧٨ — صحيفة عربية أسماها « ضياء الخافقين » ؛ وكانت أدبية سياسية معتدلة مهادنة . وكان صاحبها صحفيا لبقا ، إذ استطاع أن يتعرف باللورد روزبرى أكبر ساسة ذلك العصر ، كذلك تشرف بمقابلة جلاله الملكة فكتوريا وأهدى اليها قاموسا للغتين العربية والانجليزية أصدره وكذلك قابل السلطان عبد الحميد وأمراء العرب وتلقى هداياهم . وكان صحفيا مطلعا . وقد ساعد السير ريتشارد بيرتون فى ترجمة مجنون ليلى .

وقد توفى فى ١٩٠٤ ؛ وكان فى الرابعة والأربعين . وقد ابنته « التيمس » و « الديلى نيوز » .

ثم جاء « سليم سركيس » الأديب الصحافى المعروف إلى لندن وأصدر « رجع الصدى » . فيها وجه خطابا إلى السلطان عبد الحميد قال فيه :

« مولاى المعظم — لم يبق من عمرى إلا أيام وساعات معدودة . أقوم فيها بواجب المصلحة العمومية . وأريد أن

أبسط أمام عرشكم آرائى الأخيرة . وهى آراء محزنة اتضحت لى بعد خبرة طويلة تاعسة » .

وأصدر « سليم فارس الشدياق » اللبنانى جريدة الخلافة .

obeikandl.com